حرية
عدالة
مواطنة

البديل

إسبوعية - سياسية - مستقلة

العدد (٩٩) ٢٠١٣/٧/٢٨ م | www.al-badeel.org | Issue (99) 28/7/2013

استمرار المعارك بين الإسلاميين والمسلحين الأكراد

النظام يشن حملة قصف بـ«سكود» على حلب

■ البديل :

حرر الجيش الحر بلدة خان العسل التي تضم قاعدة عسكرية ضخمة للنظام، وتعد طريق إمداد رئيسي له إلى حلب بعد معارك طاحنة. وقالت مصادر في الجيش الحر إن عدد القتلى من جنود النظام في المعارك بلغ أكثر من ٣٠٠ جندي، تمّ نقل جثثهم بالتعاون مع الهلال الأحمر وتسليمها لفلول قوات الأسد التي هربت من البلدة باتجاه حلب.

وردا على ذلك، قامت قوات الأسد بشن حملة قصف بصواريخ أرض أرض على الأحياء السكنية في حلب مما أسفر عن استشهاد نحو ١٠٠ مواطن، من بينهم أكثر من ٣٧ نساء وأطفال.

وسيطرت القوات النظامية على نصف الخالدية معقل المقاتلين المعارضين وأحد أكبر أحياء مدينة حمص، وسط قتال شرس يشارك فيه مقاتلون من حزب الله إلى جانب النظام. كما تعرضت مدينة حمص إلى قصف على الأحياء المحاصرة بعد إخفاق محاولات الاقتحام المستمرة منذ شهر. وانهارت مبان بشكل كامل نتيجة استهدافها بصواريخ أرض أرض في جورة الشياح.

وهزّ انفجار ضخم مطار المزة العسكري في دمشق، فيما يسود التوتر المناطق الكردية المحاصرة من كتائب إسلامية متطرفة وسط أنباء عن استمرار المواجهات، وحدوث عمليات نزوح جماعية تعرّض لها مدنيون أكراد في مدينة تل أبيض.

وحصل أكراد سوريا على تفهم تركيا حول موقعهم في سوريا ومشروع «الإدارة المدنية المؤقّتة» بحسب تصريحات لأبرز قادة أكراد سوريا عقب زيارة مفاجئة قام بها إلى تركيا. وقال رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي صالح مسلم إن الحكومة التركية غير قلقلة بشأن التواجد الكردي في المناطق الحدودية، وإن مباحثاته مع المسؤولين الأتراك ستستمر مستقبلاً، وقال إنه قام بتوضيح مشروع «الادارة المدنية المؤقتة» التي طرحها حزبه، وخاطبه المسؤولون الأتراك بالقول: «هذا حقكم».

والتقى عدد من قادة المعارضة مع مجلس الأمن الدولي للمرة الأولى، وناشدوا روسيا وقف دعمها السياسي والعسكري القوي للأسد. وقال نجيب غضبان العضو في الائتلاف الوطني للصحافيين بعد الاجتماع إن المعارضة طلبت من روسيا التوقف عن تقديم المساعدة السياسية والعسكرية لهذا النظام كي لا يواصل "جرائمه" بحق الشعب السوري.

في الأثناء، قال رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأميركية الجنرال مارتن ديمبسي إنه يتوخى الحذر في التوصية بالتدخل العسكري في سوريا، خشية أن يحوّل أي إجراء غير مدروس البلاد إلى «دولة فاشلة».

وأعلنت كل من بريطانيا وفرنسا تأييدهما لمطلب الائتلاف الوطني بحكومة انتقالية ذات صلاحيات تنفيذية كاملة، مشددين على ضرورة سيطرة هذه الحكومة على الجيش وأجهزة الأمن.

■ رأي البديل- تفاعل القضية الكردية

تتفاعل القضية الكردية اليوم على ضوء تحول مسارات الوضع في سوريا، حيث يتجه الأكراد إلى تنظيم شؤون المناطق ذات الأغلبية الكردية، وقد أصدروا في ذلك ما يشبه الدستور الناظم لعملية تسيير الحياة في تلك المناطق، وجاءت بعض ردود الفعل من شخصيات معارضة أو كتائب مسلحة رافضة توجهات الأكراد الأخيرة، وبات واضحا أن الأمر دخل في صراع مسلح بين قوى كردية، وتحديدا حزب الاتحاد الديمقراطي وبين كتائب إسلامية راديكالية، ومن بينها جبهة النصرة.

اتهمت قوى معارضة الأكراد (وهنا نقصد لغة التعميم وليس التعميم) بأنهم غير منخرطين في الثورة بشكل حاسم، وبأن معظم الأحزاب الكردية مترددة في اتخاذ مواقف واضحة، وفي المقابل فقد وجد الأكراد في لغة الكثير من المعارضين تشنجا نحو مطالبهم، وتجلى الصراع بين الأحزاب الكردية والمعارضة في مناسبات عدة، وقد بقيت المواقف بين الطرفين تراوح مكانها.

أما مسارات الثورة التي أفضت إلى فوضى في الكثير من المناطق، ورغبة مختلف الأطراف في تنظيم شؤون الحياة العامة، دفعت بالتوجه الكردي إلى الإفصاح عن رغبة مماثلة، وهو ما جعل كثر يتهمونه بالتهمة القديمة المتجددة، وهي الانفصال، وتأسيس كيان خاص بهم، وساق أصحاب وجهة النظر هذه الكثير من الشواهد التي يعتبرونها مؤيدة لوجهة نظرهم تلك.

لكن السؤال الذي لا بد من طرحه: هل تكفي نية الأكراد وحدهم من أجل تحقيق نوع من الانفصال أم أن تحقيقه رهن بمسارات المسألة السورية؟.

من حيث المبدأ فإن تسيير الحياة العامة وفق قوانين ناظمة في المناطق ذات الغالبية الكردية هو أمر إيجابي إذا ما قورن الأمر بمناطق كثيرة خرجت عن سيطرة النظام، ووقعت لاحقا تحت تأثير جهات راديكالية متطرفة، تعتقد أن إدارة الحياة العامة هي التدخل في الحياة الخاصة للأفراد، وهو ما قدّم نموذجا سيئا عن (المناطق المحررة) للسوريين أولا، وللعالم ثانيا، ومنح النظام فرصة لتشويه قوى الثورة.

أما بخصوص الانفصال فإن المسألة هي رهن مسار الوضع السوري، والمآلات التي سيصل إليها، كما أنه لا يجب إغفال أن إعادة إنتاج أي زواج قسري بين المكونات السورية لن يحقق التوحد فيما بينها، وإنما المزيد من الصراع، بينما ما يدفع الأفراد والجماعات إلى الوحدة هي مصالحهم، وكلما تعاظمت المصالح زادت الفرص.

انتشار الأمراض المعدية بين اللاجئين يدق ناقوس الخطر

أعمال التخريب تعوق جهود الصرف الصحي في مخيم الزعتري

■ عمان- شبكة الأنباء الإنسانية:

شكل توفير مياه الشرب والمراحيض والحمامات الكافية في منتصف الصيف لمخيم الزعتري تحدياً كبيراً، فهذا المخيم الذي أنشئ على عجل لإيواء نحو ١٠،٠٠٠ لاجيء أصبح الآن يأوي أكثر من عشرة أضعاف ذلك العدد.

وبهذا الصدد، قال كيتكا جويل، أخصائي المياه والصرف الصحي في منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف) وهي المنظمة الأممية المسؤولة عن المياه ومرافق الصرف الصحي في حالات الطوارئ أن «جميع مقدمي الخدمة يحاولون مواكبة هذا الطلب المتنامي».

إلى ذلك، تشير التقارير إلى ظهور حالات جديدة من الأمراض المنقولة عن طريق المياه والمتعلقة بها في المخيم بشكل أسبوعي، بما في ذلك الإسهال والجرب والبَريميِّة وفيروس الروتا والالتهاب الكبدي الفيروسي (أ). وقد تمّ الإبلاغ أيضاً عن انتشار أمراض مُعدية أخرى ترتبط بأوضاع النظافة الصحية، بما في ذلك مرض اليرقان الحاد والجدري والقمل والحصبة. وفي حين أن هذه الأمراض غالباً ما تكون موسمية أو متوطنة في المنطقة، وهي طبيعية بالنسبة لحجم السكان في المخيم، إلا أنه قد تم إصدار تحذيرات لمراقبة الحصبة– ذلك أن حالة واحدة تشكل تفشياً للمرض– والمستويات الأعلى من المعتاد من اليرقان والجرب والقمل.

وتفيد التقارير الواردة من بعض العيادات في المخيم بأن الأمهات قد أبلغن أيضاً عن ارتفاع في حالات الإسهال الدموي منذ بداية شهر أيار. ووفقاً لتقرير مراقبة المرض في المخيم ، فقد كشفت الفحوصات الرسمية التي أجريت في مطلع شهر حزيران عن أن مرض الإسهال المائي يصيب نحو ١٥ بالمائة من سكان المخيم، فيما بلغت نسبة حالات الإصابة الجديدة ٩,٧ لكل ١،٠٠٠ شخص في الأسبوع الأول من شهر حزيران. كما وصلت نسبة الإصابة بالإسهال الدموي إلى واحد بالمائة، فيما بلغت نسبة حالات الإصابة الجديدة ٠,٤ لكل ١،٠٠٠ شخص في ذلك الأسبوع– وكلا النسبتين لا تزالان دون مستويات عتبة الخطر، إضافة إلى أنهما في اتجاه تنازلي عن المستويات السابقة. من ناحية أخرى، وصلت معدلات الإصابة بالتهابات الجهاز التنفسي العلوي إلى ٢٠ بالمائة من سكان المخيم، وعلى الرغم من أن تكرار حدوثها في تناقص، إلا أنها لا تزال تشكل نسبة مرتفعة حيث بلغت نحو ١٢,٨ حالة لكل ١،٠٠٠ شخص في ذلك الأسبوع.

ويُشار إلى أنه تمّ التعامل مع هذه الأمراض وتمت السيطرة عليها إلى حد كبير، ولم تصدر أية تحذيرات خلال الأسبوعين الأخيرين. ولكن في ظل ارتفاع درجات حرارة الصيف– ولأن هذا هو أول صيف كامل للاجئين في مخيم الزعتري– فإن هذه الأمراض تشكل تهديداً مستمراً.

تصميم المرافق

ويقر العاملون في مجال المعونة بأن التصميم العام لمرافق المياه والصرف الصحي، في الأجزاء الأقدم من المخيم، دون المستوى.

وتعليقاً على هذه النقطة، قال جويل: «لقد تمّ إهدار فرص عند تصميم هذا المخيم والتخطيط له». وأضاف أن منظمة اليونيسف تعتزم تخصيص مساحات أصغر حجماً ولكن أكثر عدداً لمرافق المياه والصرف الصحي في المخيم الجديد الذي يجري تشييده في الأردن، وذلك لخدمة عدد أقل من الأشخاص في المجمعات الخاصة بالأسر.

إضافة إلى ذلك، يقع مخيم الزعتري على مستودع مياه جوفية مما يجعل بناء شبكة صرف صحي أمرا مستحيلا.

وكل يوم، يتم سحب قرابة أربعة ملايين لتر من المياه لاستخدامات المخيم من مخزون المياه الجوفية المتناقص في الأردن الذي يُعد واحداً من أشد الدول الفقيرة مائياً في العالم.

وينقل سائقو الشاحنات المتعاقد معهم الماء – بمعدل يصل إلى نحو ٣٥ لتراً للفرد في اليوم الواحد– إلى نحو ٢،٠٠٠ من الخزانات العامة التي تنتشر عبر ٥ كيلومترات مربعة وهي مساحة المخيم، أي ما يعادل مساحة ٦٠٠ ملعب لكرة قدم. وغالباً ما يجد السائقون اللاجئين في انتظارهم لملء الدلاء الخاصة بهم، وفي بعض الأحيان تكون الحشود غوغائية حيث تصرخ النساء المسنات في الأولاد الصغار لحثهم على انتظار دورهم.

وتقول إحدى النساء: «بعض الناس يحصلون على المياه والبعض لا يحصل عليها».

التخريب والسرقة

لكن الأمر لا يتوقف عند حد توفير المياه ومرافق الصرف الصحي اللازمة للاجئين في المخيم، بل يتطلب أيضاً مقاومة لأعمال السرقة والتخريب والاعتداء وفي بعض الحالات العنف.

ويقول أحد عمال الإغاثة أن السائقين يتعرضون للتهديد بشكل يومي. وتحدث حالات اختطاف للشاحنات مرة تقريباً في الشهر– وأحياناً تقع إصابات– حيث تتم إعادة توجيه الشاحنات التي قام اللاجئون بسرقتها أو شرائها للاستخدام الخاص في خيمهم أو بالقرب منها.

أما السائقون الذين يستطيعون الوصول بشاحناتهم إلى خزانات المياه العامة فقد يجدونها معطوبة أو مدمرة نتيجة لأعمال الشغب، وأحياناً تُسرّب المياه.

وقال جويل أنه يتم تخريب الصنابير يومياً، وبالتالي حتى إذا كان الخزان سليماً فإن الصنبور ربما يكون معطوباً أو غير موجود، والماء يتسرب من الخزان (يقول اللاجئون إنهم يزيلون الصنابير لكي يتدفق الماء بسرعة أكبر). وفي بعض الأحيان، تتم إزالة الصنابير أو سرقتها في غضون ٢٠ دقيقة فقط من تركيبها في الحمامات العامة. ويضطر الفنيون إلى تجريب استخدام أنواع مختلفة من الصنابير في محاولة لمعرفة أي منها سيدوم لأطول فترة ممكنة.

وفي الوقت الذي يقول فيه اللاجئون أن المياه غير نظيفة وتصيب أطفالهم بالأمراض، يعمد الكثير من عمال الإغاثة إلى الشرب من المياه بأنفسهم لإثبات أنها آمنة، مؤكدين أن المشكلة ليست في المياه بل في ممارسات النظافة الصحيّة غير الآمنة.

حمامات غير كافية

وفيما يتعلق بهذا الجانب، يقول اللاجئون أنه لا توجد حمامات كافية (مراحيض ودورات مياه) للوفاء باحتياجات سكان المخيم. ويقول البعض أنهم يضطرون للسير نحو كيلومترين للوصول إلى الحمام، وينتظرون في الطوابير قرابة ساعة، وفي نهاية المطاف لا يجدون مياه.

قال لاجئ يدعى مروان علي إنه بنى مرحاضاً خاص به (باستخدام مواد لم يتضح عما إذا كانت مسروقة أو تم شراؤها من السوق السوداء) لأنه لا يريد أن تذهب ابنته إلى دورات المياه العامة.

وأضاف: «أين كرامة المرأة إذا كان يتعين عليها أن تحمل دلواً من الماء وتسير بين الخيام في كل مرة تريد فيها استخدام دورة المياه؟»

إلى ذلك، قالت إحدى اللاجئات إنها قلقة من احتمال تعرضها للتحرش أثناء سيرها بمفردها في الظلام. (يذكر أنه قد تم تركيب ألواح شمسية منذ فترة للحمامات بغرض إنارتها خلال فترة الليل). ولا يفي عدد المراحيض بمعايير مشروع «اسفير»– أكثر المعايير الإنسانية استخداماً– وهي مرحاض لكل ٥٠ شخصاً في المرحلة الأولى من حالات الطوارئ. وفي هذا قال جويل: «نعمل باتجاه تحقيق» المعيار الذي يشترط توفير مرحاض لكل ٢٠ شخصاً في حالات المخيمات المستقرة.

ويرى أن نحو ثلث اللاجئين قد بنوا دورات مياه خاصة بهم بالقرب من خيامهم، وأن أغلبيتهم يسرقون الحديد والطوب الأسمنتي من الحمامات العامة للقيام بذلك.

وتشير تقديرات منظمة اليونيسف إلى أنها خسرت ١,٥ مليون دولار من جرّاء التخريب الذي طال مرافق المياه والصرف الصحي التي قامت بإنشائها.

وقال جويل: «كل منا لديه احتياجاته الفردية ولكن هناك مصلحة عامة».

تراجعت حاضنته الشعبية بسبب تصرفات بعض أفراده المسيئة

ناشطون: مكان الجيش الحر هو مناطق التماس ولا حاجة لوجوده في المناطق المحررة

تحقيق محمد إقبال بلو:

اعتمد الجيش السوري الحر منذ تأسيسه على نقطة رئيسية هامة، وهي الحاضنة الشعبية التي قدمت له الدعم المعنوي، وفي حالات كثيرة بعض الدعم المادي، وشكل أملاً لشرائح ثورية بأن يقوم بحمايتها من بطش النظام وجبروته، وقمعه للحراك السلمي لمدة ستة شهور متتالية.

رحب المواطنون في المدن والبلدات السورية الثائرة بعناصر الجيش السوري الحر، واحتضنوهم بشكل جعل منهم جيش الوطن الحقيقي وجيش المواطن بامتياز ، وبعد مرور حوالي عامين ونصف على انطلاق الثورة السورية المباركة بدأت هذه العلاقة بين الجيش الحر وحاضنته الشعبية تضعف، ويعود ذلك بشكل رئيس إلى طول مدة الثورة، وعدم قدرة الجيش الحر على الوصول إلى الحسم بسبب تكبيله، والحد من إمكاناته من قبل المجتمع الدولي بأسره، مما أدى لازدياد معاناة المواطن والضغط النفسي الرهيب الذي بدأ يتملكه مؤخراً ، ناهيك عن بعض التجاوزات من قبل بعض عناصر الحر، وقد استثمر النظام هذه النقطة بشكل كبير في محاولات عديدة لتلميع صورته أمام المواطن، بتضخيمه للحوادث السلبية.

طوني الطيب مدير مركز حلب الإعلامي وأحد ناشطي الثورة السورية حدث "البديل" عن هذا الموضوع فقال: مؤخراً لا بد وأن الجميع لاحظ ضعف العلاقة وسوءها بين المواطن السوري وبين عناصر كتائب وألوية الجيش السوري الحر، ومن وجهة نظري فإن الأسباب متعددة، فهناك بظروف خلقت تدريجيا وشكلت ضغوطات كبيرة على المواطن الذي اعتقد أن عناصر الحر هم السبب المباشر في ذلك، فمن أهم النقاط هي تغلغل عناصر الجيش الحر ضمن الأحياء المحررة، مما خلق الكثير من الحساسيات بسبب تدخل بعض القيادات والعناصر بالحياة المدنية وبالشؤون التي يعتبرها المواطن أموراً خاصة به، ولا يحق لهؤلاء التدخل بها ، ناهيك عن العديد من التجاوزات الحقيقية، فالجيش الحر نتاج هذا المجتمع بكل إيجابياته وسلبياته، وعناصره ليسوا ملائكة ولكنهم ليسوا شياطين أيضاً، فهذا الموضوع يبقى نسبياً.

يضيف طوني: برأيي أن حل هذه المشكلة بالإمكان تحقيقه، لكنه يحتاج بعض الجهود، لو نظرنا إلى المناطق المحررة لوجدنا أنها تتمتع بنسبة مقبولة من التنظيم، خاصة بعد نشوء المجالس المحلية ومجالس الأحياء ، ونلاحظ أن وجود عناصر الجيش الحر داخلها لم يعد له أي مبرر، وبإمكان الكتائب المنتشرة في الأحياء الشعبية أن تتجمع عند خطوط التماس والجبهات بحيث تبقى حامية لتلك الأحياء، ولكن من حدودها وليس من الوسط ، وهكذا سيستعيد عناصر الجيش الحر ثقة ومحبة الأهالي، ولا بد من إنهاء موضوع المظاهر المسلحة بين المدنيين، فما تبرير حمل السلاح وأحياناً إطلاق الرصاص في حي محرر؟. لقد بدأ الأهالي يشعرون بشعورهم سابقاً تجاه جنود النظام ووجودهم المسلح في كافة المناطق . أعتقد أن تحقيق هذا الأمر يتطلب بعض الجهد، ووحدة الرأي بين الكتائب والقادة ، وهي خطوة تستحق بذل الجهد فيها، وستعود الحاضنة الشعبية للجيش الحر كما كانت في بداياته.

ياسين الصعب أحد إعلاميي حلب قال لـ "البديل" : هناك تجاوزات تخرج من قادة فعليين في الجيش الحر، وبناءً على ذلك فإن بعض وسائل إعلام النظام المخفية مضموناً والظاهرة للعلن أنها ثورية تقوم بالبحث عن تلك التجاوزات، وطرحها للشارع السوري، والعمل على نشر إشاعات في بعض الأحيان أو تضخيم أحد التجاوزات ، اليوم نحن في حرب ولا تستطيع أن نجبر أكثر من ٤٠٠٠٠ مقاتل من الجيش الحر في حلب مثلاً على الانضباط، أما الطريقة لتحسين الصورة هي أن تكون هناك قيادة موحدة، ومجلس محاسبة مدعوم من الجميع، حينها سيكون هناك التزام، ولو كان إجبارياً، من قبل ممن يتجاوزون الحدود.

أما الناشط خالد خالوصي وهو أحد ناشطي وإعلاميي حلب المدينة حدث" البديل" عن الموضوع قائلاً : من الملاحظ مؤخراً سوء العلاقة وتراجعها بين أفراد وقادة كتائب الجيش الحر والمواطنين المدنيين، ويعود السبب إلى غياب القيادات الحقيقة للجيش الحر، وهذا أمر مدّمر للثورة، فبعض قيادات الجيش الحر منفصلة بشكل نهائي عن الواقع، والناس تلمس هذا الأمر في تعامل عناصر الجيش الحر معهم، سأضرب لك مثالاً حول ذلك ففي حي طريق الباب بحلب من يومين خرجت مظاهرة تطالب بإصلاح الجيش الحر، وكان الرد بعثياً من قبل البعض بكل معنى الكلمة.

ويتابع خالوصي: بعض عناصر الجيش الحر لا يتمتعون بأخلاق الثورة لا في التعامل مع الناس ولا في التعامل مع النظام، فالفساد ضرب بعض الكتائب في الجيش الحر، وأصبحت المحسوبية موجودة حتى في تعيين بعض الأشخاص ببعض المناصب، كما في لواء التوحيد بشكل خاص. في حي الميسر يوجد أكثر من خمس كتائب، فلو أتيت إلى الميسر ستسمع صوت رصاص الدوشكا، وتعتقد أن هناك اشتباكات كبيرة في حين أنه يكون إطلاق الرصاص دون سبب أحياناً

الملاحظ مؤخراً سوء العلاقة وتراجعها بين أفراد وقادة كتائب الجيش الحر والمواطنين المدنيين

خروج الجيش الحر من الأحياء السكنية هو الحل، لكن ذلك لن يتحقق إلا عبر قيادات تسمع صوت العقل والحكمة، وتدرك أن مكان كتائب الجيش الحر هو نقاط التماس، فما تحرر من مناطق ليس من الضروري وجود المظاهر المسلحة فيها ، لأنها تحررت وانتهى الأمر ، الأجدى أن يكون عناصر الحر على الجبهات، وهكذا ستعود محبتهم إلى قلوب المواطنين، ستتغير النظرة لتعود كما كانت أساساً، وهي أن الجيش الحر وجد ليحمي المواطن فقط.

وأرى أن الأمور قد تتحسن لو عادت قوى الجيش الحر كبداياتها متوحدة على قلب رجل واحد ، وأغلقت آذانها عن التعليمات الخارجية التي تصلها، والتي تؤدي إلى ضربها مع بعضها، واصطدامها مع المواطن.

فيما قال مأمون هلال أحد إعلاميي وكالة شهبا برس لـ "البديل" : لقد تراجعت حاضنة الجيش الحر بسبب الوقت الطويل الذي أخذته المعركة مع النظام، و معاناة الأهالي من القصف المستمر، و ضعف إمكانات الجيش الحر، وعدم امتلاكه الأسلحة النوعية التي تؤمن الحماية اللازمة للمواطنين من صواريخ وبراميل الموت التي يضرب بها النظام المجرم الشعب السوري، بالإضافة إلى دخول بعض المسيئين في صفوف الجيش الحر، مما أدى إلى شعور الأهالي ببعض التخاذل من قبل الجيش الحر.

أما الطريقة المثلى لحل هذه المشكلة بحسب الناشط هلال فهي "تنظيم صفوف الجيش الحر تحت إدارة واحدة ومحاسبة المسيئين فيه أولاً بأول، ومحاولة التخلص من المحسوبيات والعشوائية التي انتشرت فيه مؤخراً".

لماذا تخلى العالم عن السوريين في ثورتهم؟

ماري عيسى

هل هو جديد ان يتخلى العالم المتقدم عن السوريين في ثورتهم ،ويتلكأ في اتخاذ قرار لصالحه؟في ثورة تحاول رد الاعتبار للشعب بعد تغييبه وإقصاءه وتجهيله لعقود من السنين من قبل أنظمة استبدادية؟ لا اعتقد ان في ذلك من جديد، فمتى اهتم العالم الغربي بالحريات والديمقراطيات في العالم الثالث...هذه الشعوب التي تعيش اليوم انتفاضة عارمة ضد الظلم والطغيان مقدمة دمها رخيصا في سبيل حريتها وكرامتها، خرجت إلى الشوارع بصدورها العارية وقد عاهدت نفسها ان لا تخذل التاريخ الذي منحها هذه الفرصة لتقول كلمتها..ولم تنتظر هذه الشعوب من العالم إلا كلمة حق وقرار عادل بإنصافها..

إن نظرية مالتوس الاقتصادية "على الفقراء ألا يتزوجوا" التي يعتمدها الغرب ويروج لها، تساعدنا في تفسير سياسات الغرب تجاهنا. فالغرب لايزال يرى شعوب العالم الثالث شعوباً فقيرة جاهلة لا تجيد إلا إنجاب الأطفال والتخلف، والثروات النفطية الموجودة في اراضينا نعمة لا تعرف الاستفادة منها، ونصّب نفسه العرّاب الذي يرعى مصالحنا ويد النجاة التي ستجعلنا نعرف كيف نستفيد من ثرواتنا، (وهذا موضوع آخر وطويل)، وهم يركزون في كل سياساتهم على خلق الظروف لتحقيق أطماعهم، يساعدهم في ذلك أصحاب النفوذ الفاسدة وجشع القادة الطاغية للسلطة والمال. وبالتالي ليس غريبا ان تكون عيونهم وقلوبهم على ثرواتنا، وليس على حياتنا وأرواحنا. وحين يرون الابرياء تزهق ارواحها على يد الانظمة القمعية لا يحرك ذلك عندهم ذرة ضمير فنحن شعوب منجبة ولا خوف على مئة ألف سوري يقتل بدم بارد طالما تدخلهم لا يخدم مصالحهم، أضف انها طريقة غير مباشرة"نظرية مالتوس" للتخلص من كم بشري يحاصص العالم في البيئة والماء والغذاء، والتدمير هو فرصة فعالة لخلق فرص للعمل وحل لمشاكل البطالة في العالم الذي يعاني هذه الحروب والتدمير، فبعد الهدم والدمار لا بد من إعادة الاعمار (حسب نظرية كينز) وبالتالي مشاريع استثمارية مستقبلية.. وإلا كيف نفسر صمت العالم امام ما يرتكب من مجازر وقتل بحق شعبنا السوري وهو لا يحرك ساكنا ...في حين ينتفضون لمقتل اسرائيلي بحادث سير..

وإن أبدى الغرب بعض الاهتمام والتشجيع على الحريات والديمقراطيات فذلك لأنه يخدم مصالحهم بالدرجة الاولى ..لضرورة الانفتاح على عالمنا العربي وكوننا سوق مناسب لترويج منتجاته..ضارباً بعرض الحائط كل القيم والمعايير الاخلاقية فزمننا زمن العولمة وزمن الاقوى وليس زمن الاخلاق والقيم ..وما يهم الغرب الفائدة والربح العائد لبلده من أي قرار يأخذه....وبالتالي ليس غريبا ان لا تتدخل امريكا ولا الدول الاوربية في ايقاف العنف بسوريا ما لم تتطلب مصالحهم ذلك..هم قدموا لنا منتجاتهم الجديدة وسائل الاتصال الحديثة الفيسبوك والتويتر وغيرها ...وعلينا ان نستفيد من هذه التقنيات ونتطور لنصبح مستهلكين اكثر لمنتجاتها أما عدا ذلك فهي غير مسؤولة..

والحقيقة أن مجتمعات المقيدة الحرية استفادت كثيرا من وسائل الاتصال الحديثة في إطلاق صرختها الاولى ضد الظلم والتهميش، وساعدت الشباب عبر الفيسبوك في التحضير لثورات الربيع العربي وإطلاق بوادرها الاولى ليكون الشارع منبرها للمطالبة بحقوقها....بدات بتونس وانتقلت لمصر وليبيا واليمن وليس آخرها سوريا...فعبر الدعوات على الفيس بوك كانت الشرارات الاولى للخروج بمظاهرات تندد بالانظمة المستبدة وتطالب بالحرية والكرامة والتغيير....

أول شعار رفعه السوريون بمظاهرتهم في سوق الحميدية بدمشق كان "الشعب السوري ما بينذل" والتي كانت بتاريخ ١٥ آذار. تلت دعوة أولى لمظاهرة على الفيسبوك باسم" يوم الغضب السوري" بـ١٤ شباط دعا لها ناشطون وفشلت بسبب تواجد الامن الكثيف ...حدث ذلك بعدوى فيسبوكية عربية سرعان ما ترجمت على الواقع بعد ان وضعت يدها على الجرح العربي عموما والسوري خصوصا ووجعها من الانظمة التي حرمتها الكرامة والحرية..فقد أتت الفرصة ولن يتركها السوريون أيضا.....

خرج السوريون بشكل سلمي شعارهم "واحد واحد واحد الشعب السوري واحد"، لم يكن طائفيا يوماً، طالب بداية برفع قانون الطوارئ ليستطيع ان يعبر بحرية عن رأيه دون اعتقال تعسفي، وبدون خوف..لكن ماذا حدث ؟؟الذي حدث ان النظام قابل هذه المظاهرات العفوية بالرصاص الحي..وبدات السيناريوهات المفبركة عن وجود مسلحين وسلفيين وارهابيين ومندسين الخ...وكل ذلك لكي لا يستجيب النظام لمطالب الشعب فقد استشعر بأن الشعب لا يريد هذه المطالب فقط..بل يريد إنهاء الحكم الوراثي في سورية.، فالشعب لم يعد يخاف وصحا وها هي الفرصة مواتية ليستنكر استغباءه واستضعافه من قبل النظام الذي جعله شعبا مغلوبا على امره ليس امامه إلا الطاعة وإلا كان مصيره السجن او القتل أو النفي...فرصة ليقول سورية للسوريين وليست مزرعة للاسديين...

أسلوب النظام الاستفزازي والقتل الممنهج جعل الكثير ممن حرق بيته وقتل ابناءه واقاربه يحمل السلاح ويدافع عما تبقى له من حق في الحياة، لينضم بعد ذلك إلى "الجيش الحر" ... لكن ماذا حدث بعد ذلك ؟ الفبركات التي نطق بها النظام صارت حقيقة ..لقد صارت سورية ساحة لكل الفصائل الاسلامية التي تقاتل باسم الدين، متى وجدت وكيف لا أحد يدري؟ جبهة النصرة البارحة، و"دولة العراق والشام" اليوم ولا احد يشك بانها كتائب ارهابية مدسوسة على الجيش الحر لتشويه سمعته...ويؤكد انها من صنع النظام وتعمل لصالحه..وربما هي سبب وجيه لعدم تدخل امريكا والغرب لأن مصالحها تقتضي ان نحارب هذه الفصائل الارهابية على أرضنا وبأرواح السوريين ، الامر الذي سيضعف النظام فيصير طرفا أضعف في اي مفاوضات يطرحها الغرب فيما بعد وبالتالي يكون الغرب هو الاقوى ونحن الاضعف شعبا ومعارضة ونظاما .

وفي حين روسيا وايران وحزب الله تدعم النظام علنا لتنفيذ مشاريع ليست بريئة ايضا في الشرق الاوسط، نجد اسرائيل مرتاحة نسبيا وتستفيد من التهاء العالم بالصراع في سوريا لتبني المزيد من المستوطنات وهي مطمأنة ان النتائج ستكون لصالحها بكل الاحوال..وهكذا علق الشعب السوري بصنارة المصالح العالمية...

يوم خرج الشعب السوري خرج ضد الظلم ولم ينتظر من احد شيء، كان يدرك ان ثورته له وارادها من صنعه ..لكن امام هذا اللاتوازن من دعم روسيا وايران وحزب الله وتلكؤ امريكا والغرب من دعم المعارضة الفعلي ..كان يتمنى قرارا من المجتمع الدولي يدين تدخل حزب الله في سورية ..وباضعف الايمان تمنى قرارا من المجتمع الدولي بوقف قتل الابرياء .. فهل يعقل ان يبقى السوريون تحت القتل والعنف من النظام لأكثر من سنتين والعالم يتفرج..؟؟؟!!!...

الشعب السوري خرج من بيته ولن يعود إلا محققا شعاره في إسقاط النظام بعد ان مات اكثر من مئة الف شخص .واعتقل ايضا اكثر من مئتي ألف شخص..... وهو اصلا لم يعد له بيتا يعود له..فقد دمرت بيوتهم على بكرة ابيها، وبلغ عدد المهجرين والنازحين السوريين الثمانية مليون شخص خارج وداخل سورية ...ولن يعودوا إلا بنظام جديد وحكم جديد ودستور جديد يحفظ لهم كرامتهم وحريتهم...حتى لو تخلى العالم عنهم...وحتى لو ماتوا جميعا..فهم من قال "الموت ولا المذلة".

الايام القادمة ستؤكد إن كانت الكلمة ماتزال للشعب إذا ما أراد الحياة...١٣-٧-٢٠١٣.

هل يصبح الجيش هو الحل؟

غازي دحمان

تطرح الأزمة المصرية، من ضمن جملة الأسئلة الكثيرة التي ألقتها في فضاء المنطقة سؤالاً خاصاً بالأزمة السورية، وإذا ما كان نظام بشار الأسد سوف يطور استجابات جديدة على ضوء قراءته للأزمة، أو إذا ما كانت طبيعة مخرجات الأزمة او المقاربة المعتمدة بحد ذاتها ستبلور نمط تعاطي دولي جديد مع عناصر الأزمة السورية وتعقيداتها؟.

التصور العام بداية أنه من غير المؤكد أن يستفيد بشار الأسد من الدرس المصري، بل على العكس من ذلك إذ توحي الاستجابات الأولى وردود فعله المعلنة أنه يحاول توظيف هذا الدرس والاستفادة منه إلى أقصى حد والتعامل معه بوصفه فرصة ومكسب، حيث يعتقد أن وقوف بعض الأنظمة العربية مع الجانب الأخر في الأزمة المصرية علامة على إمكانية انقلاب هذه الدول للوقوف معه.

الأكثر من ذلك، ظهر أن باعتقاده أن الانقلاب على «الإخوان المسلمين» في مصر تبرر له كل فظائعه تجاه الشعب السوري، ومن وحي تهليله للحدث كما كشف في تعليقاته الإعلامية الغزيرة، أنه فعل كل تلك الارتكابات لقطع الطريق على فوضى الجماعات المسلحة «ذات المرجعية الإسلامية»، وبالتالي لا حاجة لتجربة حكمهم طالما أنها ستنتهي إلى هذا المآل. وفق هذا المنطق الرجل لم يفعل شيئاً غير اعتيادي، كل ما فعله أنه قام بعملية حرق مراحل، وأراح العالم من خوض تجربة الإسلاميين في سوريا، أو هو في أحسن الأحوال يكون قد طبق نظرية" الجراحة الضرورية" التي كان قد طرحها في بداية الأزمة لإنقاذ المجتمع السوري" المريض" من ورم الثورة الذي يهدد بفنائه.

وبعيداً عن قراءة النظام السوري ورأسه للحدث المصري، إلا أن ثمة تقديرات لدى دوائر عديدة، بأن الحدث المصري، وفي حالة نجاحه كتجربة سيجري تعميمه على باقي حالات الشرق الأوسط، التي لا تزال عالقة، ولا تزال مجتمعاتها تعيش مرحلة ما بين الحرب الأهلية والاضطراب، كاليمن وتونس وليبيا، بالإضافة إلى سوريا التي باتت تمثل مأزقاً دولياً لمختلف الأطراف الإقليمية والدولية، فالمشهد المصري اليوم ينطوي على حل توفره آليات النظام نفسه ومؤسساتها، وهو قيام مؤسسة الجيش بقيادة الحل وفرضه على جميع الأطراف، بما فيها رأس النظام نفسه. ينطوي هذا الحل على مزايا كثيرة، كما أنه يطرح إغراءات مهمة لمختلف الأطراف، ومنها أنه يوفر على الأطراف الخارجية كلفة التدخل الخارجي، وخاصة وأنها عملية لم تحظ بتوافق دولي من مختلف الأطراف. إضافة إلى كون تلك الأطراف الخارجية أصلاً تعاني مشاكل داخلية تتعلق بعدم قدرتها على إقناع شعوبها بأولوية التدخل الإنساني في الأزمة السورية، نتيجة استغراق تلك الشعوب بأزماتها

ثمة تقديرات لدى دوائر عديدة بأن الحدث المصري وفي حالة نجاحه كتجربة سيجري تعميمه على باقي حالات الشرق الأوسط

الاقتصادية والمالية، واعتكافها مشاكل العالم الخارجي وهمومه.

من جهة ثانية، يضمن هذا الحل المحافظة على مؤسسات الدولة، وضمان عدم فرط الدولة وتشتتها، والابتعاد تالياً عن الشبح الصومالي الذي بات يلوح في أفق المشهد السوري. حيث تدرك مختلف الأطراف الدولية المتصارعة الأهمية الجيو إستراتيجية لسورية، وحيوية موقعها الجغرافي، وارتباطه العضوي والوثيق بمصالح وأمن المجموعة الدولية الفاعلة والمؤثرة.

كما أن هذا الحل يلقى قبولاً من الطرف الروسي، أكثر الأطراف الدولية الداعمة للنظام، والذي يصر على وجوب أن يكون له كعكة في سوريا المستقبلية، والمعلوم أن الروس لهم علاقات متشعبة داخل المكون العسكري السوري بحكم العلاقات التاريخية بين الطرفين. وكانت روسيا قد اقترحت، في مرحلة سابقة، تسليم الأمور لمجلس

أعلنت أميركا أكثر من مرة رغبتها في الحفاظ على مؤسسة الجيش والأمن في سوريا

عسكري، على أن يتكون إطاره من مختلف مكونات المجتمع السوري، وترجح فيه كفة الأقليات، وذلك حتى تشعر بمزيد من الاطمئنان على مستقبلها، وعدم تعرضها للانتقام من قبل المكون الأكثري، إلا أن تطورات الحدث السوري طوت هذا المقترح.

من جهتها، أعلنت أميركا أكثر من مرة رغبتها في الحفاظ على مؤسسة الجيش والأمن في سوريا، فيما يبدو أنه محاولة لعدم تكرار تجربة العراق. إضافة لذلك، فإن هذا الحل يتوافق مع رغبات إسرائيل في عدم استلام الإسلاميين للسلطة بسبب مخاوفها من غموض مواقفهم المستقبلية تجاه الوضع في الجولان وعملية السلام عموماً، فيما تستطيع إسرائيل التكيف والتنسيق مع مؤسسة الجيش السوري، بعد خبرة عقود من التعاطي بين الطرفين، ناهيك عن كون هذا الطرح يراعي مخاوف الروس من تمدد حكم الإسلاميين في المنطقة.

كيف ستتم ترجمة هذا الأمر على أرض الواقع، خاصة في وجود تماهٍ بين المؤسستين العسكرية والأمنية ورأس النظام نفسه، حيث تصبح عملية الفصل بينهما معقدة، مما يجعل الحديث عن إمكانية الانقلاب على النظام مجرد حديث نظري لا أسانيد له؟ الجواب على ذلك أن مسار الحدث صار متداخلاً بدرجة معقدة، وأن الأطراف الخارجية صارت طرفاً فاعلاً، وأن هذه الأطراف إذا ما توافقت على الترتيبات والتفاصيل، فلديها القدرة على إظهار المخرج المناسب للأزمة. والأهم من كل ذلك أن الأزمة تعقدت بدرجة كبيرة، كما أنها أعيّت مختلف أطرافها وأرهقتهم باستنزافها لرصيدهم المادي والمعنوي وخاصة الأطراف الدولية والإقليمية.

"الربيع العربي" والنظرية الغائبة

حسام ميلاد

في السنوات الثلاث الأخيرة، يشهد الوطن العربي عملية مخاض مؤلمة ومكلفة على جميع الأصعدة إنسانيا واقتصاديا. وتبدو هذه الحال منطقية من وجهة نظر البحث الاجتماعي والتاريخي. فبعد عقود طويلة من الانغلاق والركود ما قبل تسعينيات القرن الماضي، هبت رياح العولمة لتفتت الكيانات الطرفية الصغيرة، وتجبرها على الانفتاح، لكن ليس لصالح هذه الكيانات، بل وفي العموم الغالب وفق ما تقتضيه التحولات في الدول المركز. والواقع أن السنوات الأخيرة قد اثبت مدى هشاشة البُنى العربية ممثلة بتركيبتها الاجتماعية والدولة القُطرية. ولعل أخطر مظاهر هذا التفتت يتجلى بالصراع الاجتماعي الذي وإن اتسم فيما مضى بطابع اقتصادي كصراع بين الأغنياء والفقراء، بات يتخذ شكلا أثنياً و دينيا (مذهبيا وطائفيا) يشتد خطره بعد الانتفاضات الشعبية في أكثر من بلد عربي و ضعف السلطات المركزية. وإذا كانت المذهبية والطائفية والأثنية عوامل أسهمت لعقود طويلة في إعاقة الفرز الطبقي، فإن خطورتها اليوم تكمن في تورطها في إعادة رسم معالم المجتمعات العربية جغرافيا وسياسيا. وفي هذه الظروف تستغل الحركات الإسلاموية المتنوعة الفرصة باتجاه بناء دولة أو دويلات "الخلافة". وترى بعض الإثنيات أن الطريق الأقصر للخلاص هو بناء كيانات مستقلة.

منذ مطلع التسعينات إلى اليوم، بات فوز الإسلامويين بالانتخابات المتنوعة ظاهرة مألوفة في المشهد السياسي العربي. على سبيل المثال، في السودان والجزائر والكويت والأردن ومصر وتونس وحركة "حماس" في فلسطين. وبداية نضع يدنا على مفارقة مفادها، أنه في الوقت الذي تتعارض فيه الأيديولوجيا الإسلاموية مع الديمقراطية، استطاع الإسلامويون الوصول إلى السلطة السياسية عبر الأداة ذاتها التي رفضوها مرارا وتكراراً بوصفها بضاعة غربية، واختزلوها إلى مجرد "شورى ارستقراطية". في مجتمع عربي لازال ينتج ويعيد إنتاج أيديولوجيا الطاعة، فإن وصول الإسلامويين إلى الحكم، إن لم يكون متوقعاً فهو ليس بالمستغرب أيضا. فقد اتسم تعامل الدولة القطرية العربية وأجهزتها مع الإسلامويين بالازدواجية والتناقض. ففي الوقت الذي جرى فيه قمعهم على الصعيد السياسي كانت تتم عمليه زرعهم أيديولوجياً واجتماعياً موفرة لهم كل المنابر الإعلامية اللازمة، والتي كان أخطرها المؤسسات التربوية، لاسيما المراحل الأدنى في السلم التعليمي، ابتداءً من دور الحضانة ورياض الأطفال. ما حدث في فترات تاريخية متعدد هو نوع من التواطؤ التاريخي غير المعلن، فمن جهة استفادت النخب العربية الحاكمة من الصيغة الإسلاموية لـ "لإسلام" في تكريس خطاب الطاعة والتوكل، وعملت على ترويجهما من أجل مزيد من الإخضاع للمواطن العربي، ولتشكيل نوع من التوازن في وجه حركات "المعارضة" التي كانت في غالبيتها ذات توجهات يسارية وعلمانية. من جهة ثانية، حقق الإسلامويون حضوراً جماهيرياً وفعلاً اجتماعياً طالما كان ديدنهم المصالحة والتواطؤ مع السلطة السياسية. وفي الوقت الذي كان فيه الطرفان (السلطة السياسية والإسلامويون) يفشلان في الحفاظ على حالة التوازن تلك، كان العنف هو الحكم بين الطرفين. لتدفع الشعوب العربية ومجتمعاتها ثمناً باهظاً لهذا التواطؤ.

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة القطرية العربية بحاجة إلى بعض التحولات المحدودة ذات الطابع الديمقراطي لأسباب عدة، أهمها سياسة الانفتاح واقتصاد السوق الذي زجت النخب الحاكمة نفسها فيه من أجل مزيد من الثروة، فكانت بحاجة لاستقطاب أصحاب رؤوس الأموال الذين تحولوا إلى شركاء في هذه العملية، استند الإسلامويون على ذلك الرصيد الجماهيري ليحصدوا نتائج الانتخابات البلدية والمحلية والتشريعية. ولم يكن ممكنا للإسلامويين إحراز تلك الانتصارات الانتخابية لولا الفراغ الكبير في المجال السياسوسيولوجي نتيجة انحسار المد اليساري العربي. والذي ترافق مع انهيار المنظومة الاشتراكية العالمية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي معلنا تراجعه أمام الأطروحتين الإسلاموية والليبرالية الجديدة.

وإذا كان انهيار المنظومة الاشتراكية الداعم للأحزاب اليسارية العربية الماركسية والقومية ذات التوجهات الاشتراكية هو أحد أهم العوامل الموضوعية التي تفسر حالة العجز والاضمحلال التي مني بها اليسار العربي، فهناك عوامل ذاتية كان لها الدور الحاسم. فقد أخفقت الأحزاب اليسارية العربية فكراً وممارسة وأهدافاً. إذ بقيت هذه الأحزاب حبيسة الفكر الدوغمائي، ما أبعدها عن استيعاب الواقع المتغير فكريا وتنظيميا. أضف إلى حالة التشتت والتراخي التنظيمي وغياب النقد والنقد الذاتي وسيادة العلاقات المصلحية والعشائرية، بل والطائفية أحيانا، واستبدال المركزية الديمقراطية بالديمقراطية المركزية، وغياب المأسسة الحقيقية لصالح سياسة الفرد وتحول كوادر الحزب إلى موظفين. كل ذلك جعل هذه الأحزاب عديمة الفعالية في الشارع العربي، تكاد تكون أشبه بأي مؤسسة من مؤسسات القطاع العام. وإذا كان ما ذكرناه يدخل تحت عنوان الأخطاء، فإن الخطيئة الكبرى لهذه الأحزاب كمن في تأجيلها للمعركة من أجل الديمقراطية لصالح أهداف وشعارات أخرى. بل إن ابتعاد هذه الأحزاب نفسها عن ممارسة الديمقراطية، ساهم في نشر ثقافة التبعية، وأعطى النخب الحاكمة تفويضاً إضافياً لسياسة الاستبداد.

أما فيما يتعلق بالليبرالية، فلا يمكننا الحديث عن أحزاب ليبرالية مخضرمة وعريقة كتلك التي وجدت في أواسط القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين. بل هي في غالبيتها حديثة الولادة، فقد أتى التيار الليبرالي الجديد في مرحلة تطلبتها التحولات الدولية السياسية والاقتصادية في تسعينيات القرن الماضي، ترافق مع تخلي النخب العربية الحاكمة حتى القومية واليسارية منها عن التوجهات الاشتراكية لصالح سياسة الخصخصة واقتصاديات السوق.

وحتى الآن وفي الوقت الذي نتحدث فيه عن ليبراليين وأحزاب ذات طابع ليبرالي، لازلنا نفتقد لنظرية في الليبرالية. بل ربما يمكن وصف هذه الليبرالية بـ "ليبرالية تكنوقراطية". ولكن هؤلاء كان العديد منهم شركاء ومستشارين اقتصاديين للنخب الحاكمة، لم تزد مشوراتهم ومشاريعهم الاقتصادية الشارع العربي إلا جوعاً وفقراً وقمعاً، ولم يدفعوا باتجاه أي نوع من الديمقراطية، مكتفين ببعض الحريات الاقتصادية لضمان الوصول إلى الربح والثروة، الأمر الذي جعل حضورهم الجماهيري مشوباً بالحذر.

هكذا تأتي التطورات الأخيرة التي شهدها الشارع العربي في ظل فراغ سياسي وتنظيري حقيقي. ومن اللافت حقاً، أن انتفاضات الشارع العربي لم تقدها الأحزاب السياسية إنما حركات شبابية ناشئة، لم يكن لمتزعميها أي باع يذكر في السياسة، ولم تحمل هذه الحركات رؤى سياسية متكاملة، مع ذلك استطاعت استغلال وسائل التواصل الحديثة لتنظيم الصفوف، وابتكرت أو استلهمت تكتيكات ناجحة لقيادة الحراك الجماهيري. أما دور الأحزاب أو ما بقي منها، فكان تلقف انتفاضة الشارع العربي ومحاولة حصد مكاسبها. وكان بالطبع، للتيارات الإسلاموية حصة الأسد مستندة على حضورها الجماهيري. الذي كان حضوراً شبه يومي في حياة المواطن العربي. أما ما يعلو هنا وهناك من أصوات ترفع شعارات الديمقراطية والعلمانية فينطبق عليها القول: "ما أكثر من قال وما أقل من نظر".

للأسف، إن انتفاضة الشارع العربي اليوم بدون بوصلة فكرية، وغياب النظرية يجعلها تستسلم لحالة انفعالية غرائزية تفتح الباب أمام مزيد من العنف والعنف المضاد، لاسيما مع تصدع السلطات المركزية. الأمر الذي يعني احتدام الصراع السياسي والمذهبي والطائفي والعرقي، مما جعل حالة المخاض أكثر كلفة وأطول زمنا، وبتنا نخشى مولوداً مسخاً. ما نسجله هنا ليس حالة تشاؤم مجردة، ولا نصادر على حق الشارع العربي في التحرر من الظلم والاستبداد الذي مني به طويلاً، لكن أيضاً، قد تقرأ النتائج من المقدمات. فإذا كان الهدم أول خطوات البناء فنخشى والحال كذلك، أن نقف في المربع الأول، وأن يكون كل ما سنحصده مما أطلقنا عليه تيمنا "الربيع العربي" أشبه بـ "لحم جمل غث على رأس جبل وعر لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل.

ما يجري في تل أبيض تحت المجهر

■ جان كورد

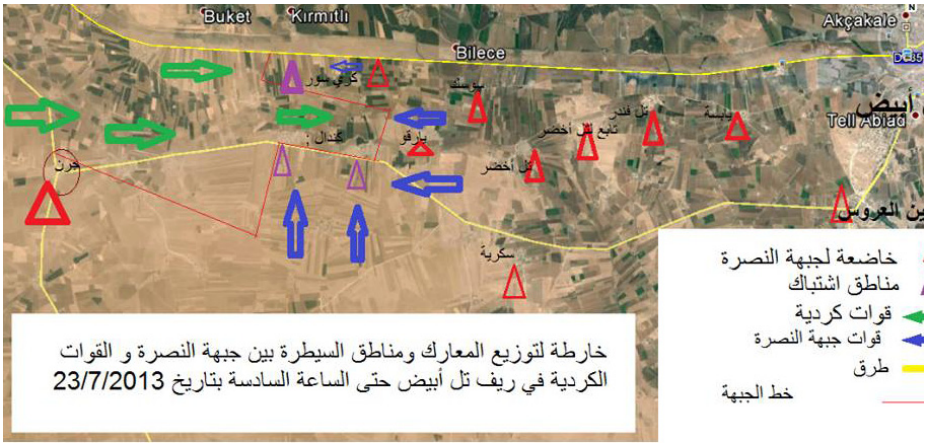

خارطة لتوزيع المعارك ومناطق السيطرة بين جبهة النصرة و القوات الكردية في ريف تل أبيض حتى الساعة السادسة بتاريخ 23/7/2013

إن اشتباك قوات حزب الاتحاد الديموقراطي مع تنظيمات إسلامية عربية في تل أبيض (ترسبي) قد بدأ واستعرت ناره بعد الاتهامات المتبادلة بخرق الاتفاق المعقود بين هذا الحزب و"جبهة النصرة" المحسوبة على المنظمات الإرهابية في العالم الحر الديموقراطي، وإذا كانت هناك تنظيمات إسلامية أخرى منضمة للقتال إلى جانب جبهة النصرة فإن أي حزب كوردي أو كوردستاني لم يعلن حتى الآن مساهمتَه في القتال إلى جانب حزب الاتحاد الديموقراطي، على الرغم من استمرار نشاط الهيئة الكوردية (العليا) التي تشارك فيها بعض الأحزاب الكوردية مع هذا الحزب، ويتردد بأن "قوات الحماية الشعبية" العائدة له تابعة لهذه الهيئة وتأتمر بأمرها، كما ان أي حزب كوردي آخر لم يوقع من قبل إتفاقاً مع جبهة النصْرة وسواه من المنظمات المتطرفة التي لها ضلع كبير على ساحة القتال الدائر منذ زمن طويل بين الشعب السوري ونظام العائلة الأسديّة الباغي والدموي. وعليه فإن المسؤولية الكبرى في الجانب الكوردي عن النتائج السلبية لما يجري في هذه البقعة التي اشتهرت تاريخيا بصونها الوحدة الوطنية والتعايش السلمي بين مكوناتها الاثنية والدينية، وفي مقدمتها الكورد والعرب في تل أبيض وقراها، تقع على عاتق حزب الاتحاد الديموقراطي، وليس على كل الأحزاب الكردية السياسية التي نعلم عنها بالتأكيد رفضها الانزلاق إلى أي صراع جانبي اليوم، والمعركة السياسية لها هي ضد نظام الأسد. وبناءً على هذا فإنِ أي اتهام للشعب الكوردي من خلال ما جرى سابقاً من مآسٍ دموية بسبب صراعات مسلحة في مناطق الجزيرةَ ومن أهم فصولها ما حدث في رأس العين (سرى كانيى)، وكذلك بالقرب من مدينة عفرين في منطقة جبل الأكراد (كورداغ) سابقاً، عار من الصحة ومردود، لأن الشعب السوري يرفض انحيازه عن معركته الوطنية الأساسية التي هي معركة سائر مكونات المجتمع السوري إلى معارك جانبية تضر بالنسيج الاجتماعي – الديني لهذه المكونات وتعود على شعبنا الكوردي خاصة بمزيد من الدموع والدماء والخسائر المادية، وتساهم في تأخير وعرقلة نشاطه من أجل رفع الظلم والعدوان عن نفسه.

ويعلم كل العقلاء بأن خرق الاتفاق يقتضي وجود الاتفاق قبل ذلك، فإذا كانت جبهة النصرة ومن ورائها إمارة (أو دويلة) العراق والشام الإسلامية كما تم تصنيفهما عالمياً من المنظمات الإرهابية والمتطرفة فكيف يعقد حزب الاتحاد الديموقراطي معهما اتفاقاً؟ وعلى أي أساس تم صوغه والالتزام به؟ ثم يعود الحزب للقول بأنه يقاتل اليوم ضد الإرهاب السلفي، الأردوغاني، المتخلف، المعادي للكورد وكوردستان.

هذه الاشتباكات جرت وتجري بهدف الاستيلاء على مناطق حدودية مهمة للغاية، مع التأكيد على الأهمية الاستراتيجية، من النواحي العسكرية والسياسية والاقتصادية، لسائر المنطقة الكوردية على طرفي الحدود بين تركيا وسوريا والعراق، وهذا ما يجعل من هذه الاشتباكات في منتهى الخطورة، كمن يشعل النار بالقرب من حقول قمح آن أوان حصادها، ولذا فإن مجرد التفكير في خوض معارك في هذه المناطق خطأ جسيم، سواءً المرتكب في الجانب العربي أو الكوردي، ونحن نعلم بأن الدولة الكبيرة تركيا، العضو في حلف الناتو، والتي لم تتحرك ضد نظام الأسد عسكرياً رغم اعتداءاته العسكرية المتكررة عليها ورغم كل تهديداتها وخطوطها الحمراء، فإنها لن تتوانى عن القيام بهجمات جوية وبرية على المناطق التي يشتد فيها ساعد الحركة التحررة الكوردية، سواءً في سوريا أو في العراق، وقد فعلت ذلك مراراً وتكراراً في جنوب كوردستان (كوردستان العراق!) منذ لجوء بعض قوات حزب العمال الكوردستاني إلى جبل قنديل وسواه ضمن الأراضي العائدة لدولة العراق رسمياً. والتصريحات اللامسؤولة التي يطلقها البعض من الكورد بصدد "قدرة الشعب الكوردي على التصدي لكل التنظيمات المتطرفة وتركيا من ورائها!!!" ليست إلا بالونات دعائية إعلامية بهدف تقوية عزيمة المنخدعين ببعض أسباب القوة التي يمتلكها هذا الحزب الكوردي أو ذاك، فإن غرب كوردستان (كوردستان سوريا) ليس كما هو عليه شمال كوردستان (كوردستان تركيا) أو شرقه أو جنوبه، من حيث العمق الاستراتيجي والإمكانات والاستعداد التعبوي اللازم للتصدي لكل هذه القوى المتكالبة علينا مجتمعة. كما أن المواجهة الكوردية "السورية" مع الدولة التركية غير واردة كبرنامج سياسي عملي لأي حزب كوردي سوري، ناهيك عن أن المرحلة التي فيها حركتنا التحررية الكوردستانية عموماً، ومن ضمنها حزب العمال الكوردستاني (الأم التي أنجبت حزب الاتحاد الديموقراطي) في سعي حميم من أجل السلام مع تركيا، وهي بحاجة إلى فترة زمنية طويلة لبناء قواها الذاتية وحشد طاقاتها وكَسب مزيد من الأصدقاء، من العالم كله ومن الشعب التركي أيضاً، وليس الدخول في مغامرات تؤدي إلى تشريد ملايين الكورد السوريين، وإفراغ منطقتهم الكبيرة الممتدة من حدود العراق شرقاً إلى لواء الاسكندرون غرباً من القوم الكوردي. ما حدث لشعبنا في شمال كوردستان من تهجير وتدمير اقتصادي، وكذلك من قبل في جنوب كوردستان يجب أن لايتكرر لدينا أيضاً.

لقد زعم مسؤولو حزب الاتحاد الديموقراطي على الدوام بأن مهمتهم الأولى هي حماية الشعب الكوردي والحرص على عدم تعريضه للخراب والدمار، وافتخروا بأن المنطقة الكوردية قد تحررت بصورة سلمية مدهشة، وحاولوا اقناع إخوتنا في أجزاء كوردستان الأخرى وكذلك العالم بأسره بما اعتبروه أكبر انتصار لشعبنا في غرب كوردستان، وليس من مهامهم الآن القتال ضد قوات النظام السوري، وبرروا بذلك امتناعهم عن الهجوم على مقرات وثكنات ودوائر أمن النظام في المنطقة الكوردية، حتى تماثيل الدكتاتور المقبور حافظ الأسد بقيت سليمة ومصانة في المدن الكوردية "المحررة!"... حسناً. أليس ما جرى في رأسِ العينِ سابقاً ويجري الآن في تل أبيض يعد انتكاساً فظيعاً ناجماً عن سوء تقدير المواقف والقوى والفصل بين الصديق والعدو وقلة خبرة في المجالين السياسي والعسكري؟ أفلا يتحمل الذين أعلنوا المنطقة الكوردية "محررة ومصانة" بقواهم القتالية مسؤولية فشلهم في كل ما حدث؟ ألم يدقوا منذ ظهورهم اسفيناً بينهم وبين مختلف فصائل الحركة الوطنية الكوردية بمواقفهم التسلطية والاستفراد بالقرار الكوردي؟ فكيف يطالبون الآن بأن تتحمل هذه القوى "الخائنة!" التي كانت تتهم في وطنيتها مسؤوليتها في الدفاع ويتم الاستنجاد بالشعب الذي تم إذلاله بصورة ممنهجة من قبل "أولياء الأمر" هؤلاء، كما حدث مراراً في عفرين وعامودة وكوباني؟ أطلق هؤلاء تصريحات مثيرة عن اقدامهم على بناء "إدارة ديموقراطية ذاتيّة" خلال شهور قلائل قادة، وطالبوا الكورد بإبداء الآراء في مشروع دستور هذه الإدارة، على الرغم من أن الإدارات الذاتية أو المحلية لاتحتاج إلى دستور، وإنما الفيدراليات هي التي تحتاج لدساتير، وهنا أيضاً لم يستشيروا الحركة السياسية الكوردية ولم يدعوها لعمل مشترك في هذا المجال، ثم صدر عن "هيئة التنسيق الوطني" السورية، التي حزب الاتحاد الديموقراطي عضو فيها، بيان يذكر أن مسؤولي هذا الحزب قد تبرأوا من هذا المشروع وأكدوا على أنه ليس مشروعاً باسم الشعب الكوردي. فكيف يصدر هكذا بيان بعد كل ما قيل ونشر عن هذا المشروع؟ بالتأكيد إن قيام حزب الاتحاد الديموقراطي بما يحلو له باسم الشعب الكوردي وبالغياب عن إرادته، بل وبدون فصائل حركته الوطنية الأخرى يؤدي إلى أخطاء جسيمة مضرة بشعبنا وقضيته العادلة.

لابد من التأكيد على أن حماية الشعب الكوردي عن طريق تشكيل قوات مسلحة مسؤولية مشتركة تقع على عاتق مختلف الفصائل الوطنية لهذا الشعب، وأن إقامة إدارة ما، يحكم بها نفسه بنفسه، ضمن حدود الدولة المشتركة: سوريا، مسؤولية جماعية أيضاً، وكذلك فإن إقامة علاقات مع المعارضة السورية، الوطنية والديموقراطية والإسلامية المعتدلة، يجب أن تأخذ بعين الاعتبار وجود هذا الكم الهائل من القوى السياسية الكوردية، كما أن الشروع في قتال مع هذا أو ذاك يجب أن يدرس بعناية فائقة في أضيقِ الدوائر الكوردية الهامة، إذ أن شعبنا غير مستعد لزجه في معارك جانبية في هذا الوقت الحرج والخطير من تاريخ سوريا التي هو جزء أساسي من مكونات مجتمعه الفسيفسائي.

في بلدي.. المهابيل في أمان

حسين جمو

كان قد مضى أسبوع واحد على أحداث ١١ أيلول في الولايات المتحدة عندما قررتُ مع صديقين آخرين القيام برحلة خاصة في دمشق.

الطلاب الثلاثة في سنتهم الجامعية الأولى. كان القرار الجماعي الذي اتخذناه هو القيام برحلة استكشافية إلى جبل قاسيون. فنحن الثلاثة لا نعرف من دمشق شيئاً، ونعتبر أن قاسيون هو أهم معلم من معالم دمشق كما نرى ونسمع عبر التلفزيون. ثم إننا الثلاثة على ما يبدو، كنا مهتمين برواية مشاهد شيّقة لأهالينا عندما نعود إلى الديار في العطلة الأسبوعية.

سيرة الطلاب الثلاثة (اثنان من حلب والثالث من الحسكة) أشبه بكوميديا سوداء، فأي منهم لم يزر دمشق سابقاً، وحلب ليست كافية لتكون دمشق مقارنة بها «مدينة عادية». الخطوة الأولى هي الوصول إلى قاسيون، فأن يكون جبل عملاق أمامك لا يعني أن كل الطرق تؤدي إليها كما اعتقدنا بداية، وقررنا الذهاب إلى منطقة تجمع السرافيس، فمن المؤكد أن هناك خط عام ينقل أهالي دمشق إليها بدلاً من أن يتكلّفوا عناء دفع أجرة تاكسي إلى هناك. بعد الوقوف مطولاً قرب مشفى المواساة، اقتنعنا أن هناك طريقة واحدة للوصول: سيارة الأجرة.

كانت هذه أول خيبة لي، إذ أن الموقع الذي وصلنا إليه ليس قمة قاسيون، بل في منتصف المسافة بين القمة والقاعدة. كانت المطاعم مفتوحة، وعدد الزبائن في كل منها قليل. كان المشهد مهيباً من هناك، كل دمشق تتلألأ أمامنا بإنارتها الليلية.

بسبب الملل، بدأ صديق بالتسلق قليلاً، وتبعه الآخر. سمعت ضحكتهم وهم يقولون إنهم غير قادرين على النزول مرة أخرى. خلت الأمر مزحة، فتبعتهم في التسلق مسافة لا تزيد عن ٣٠ متراً حيث هما، فكان الأمر صحيحاً: من المستحيل النزول إذا لم يكن دحرجة على الصخور القاسية والموت المحتّم. جلسنا لبرهة نفكر في الأمر: كيف خُدعنا؟. المنظر من الأسفل لا يوحي أن العودة ستكون صعبة، ومن الأعلى يبدو لنا الجبل عبارة عن جرف صخري نكاد نتدلى منه.

اقترحت على «المجموعة» فوراً أنه لا طريق سوى أن نكمل المسير نحو القمّة، ومن هناك سنجد طريقاً التفافياً للعودة، وفي اعتقادنا أن لا شيء هناك سوى برج الإذاعة والتلفزيون، وربما غرفة حارس البرج. هذه الغرفة لاحت لنا في الظلام من بعيد، وانحرفنا في التسلق قليلاً نحوها. عندما اقتربنا مسافة كافية، صاح أحدنا: «عمّو ... يا عمّو»، لكن أحداً لم يرد، رميت بحجرة على الغرفة الصغيرة التي تأملتها في سنوات لاحقة مئات المرات عندما سكنت في منطقة ركن الدين، حيث يمكن رؤيتها بالعين المجرد في زاوية جرف الجبل.

كنا نريد أن نقول لمن سيخرج من تلك الغرفة الإسمنتية القبيحة بأن يدلنا على طريق للعودة إلى دمشق، لكن هذا لم يكن متاحاً، إذ عندما تجتمع سذاجة ثلاثة شبان في الـ١٩ من عمرهم برعونة الجنود، فإن المعجزة الوحيدة لأي منا هي أن يخرج حياً من هذه المحنة.

كان الظلام دامساً عندما تعالت أصوات جنود ظهروا أمامنا وهم يشهرون بنادقهم في وجوهنا، ويصرخون: «انزل ولك..عالأرض». جثونا وأيدينا خلف رؤوسنا. بادرناهم بالقول إننا تائهون ونحتاج المساعدة، فكانت الإجابة حفلة دسمة من الضرب العشوائي المترافق مع حقد ونقمة فهمنا مصدرهما لاحقاً، وهو أن الجنود كانوا في نوبة حراسة ويشربون العرق ويلعبون الورق، ونحن قمنا بجريمة كبيرة: أفسدنا عليهم تلك السهرة التي كانت ما تزال في بدايتها. كان لديهم أمراً بإطلاق النار فوراً في مثل هذه الحالات حتى بدون تحقيق، ولحسن حظّنا أن هذا لم يحدث.

قطعنا مسافة قرب برج الإذاعة على طريقة «مشي البطة» وعيوننا معصوبة لكي لا نرى بطاريات صواريخ منصوبة في المكان بحسب ما أخبرنا الجنود فيما بعد. وللصدفة، كان أحد الجنود كردياً من حلب وآخر من الحسكة. هذا الأخير كان في غاية الشراسة مع ابن بلده، وكان يقول له «أهلين بلّود» مع صفعة في كل مرة. ونلتُ منه ما يكفي عندما سألنا ما إذا كان لدينا أي سلاح، أجبته «نعم، لدي سلاح»، ثم أخرجت له مشرطاً صغيراً بحجم الإصبع، فجنّ جنونه. كان مصدر نقمته هذه المرّة أيضاً هو توقعه بأن السلاح لا يمكن أن يكون أقل من مسدّس، وكان المسكين يفكّر في ورطته، وماذا عليه أن يفعل مع شخص يحمل مسدساً في معقل الحرس الجمهوري، وكان ضربه لي غضباً من «غبائي» كما قال لاحقاً عندما اعتذر منا.

حرص المجنّد الكردي أن يتولى أمري بنفسه، وفهمت منه فوراً أنه يريد إبعادي عن زميله الشرس والعنيف. عندما ضربني أول صفعة «تمثيلية» على رقبتي، قلت له بالكردية: أنت كمان قليل ناموس؟. بعدها تجرّد هذا الجندي من كل المشاعر القومية ونلت منه ما أستحق!.

في صباح اليوم التالي، دخلنا إلى غرفة التحقيق، ثم قابلنا ضابطاً برتبة رائد كان يرتدي «شورت»، ضحكت أمامه قبل أن يسألني أي شيء، ذلك أن الشورت كان واسعاً، وهو يلف رِجلاً على رِجل، فبان لي جزء من مؤخرته. استفسر بقرف عن سبب ضحكي، فقلت له: «أضحك على نفسي يا سيدي.. انظر إلى حالي، ألبس بيجاما ولا أحمل معي أي ورقة ثبوتية.. أنا خجلان فعلاً». والضحك لدي مشكلة ترتقي إلى درجة المرض. خاصة في موقف يكون مجلبة لقلة الاحترام والأدب.

قال الضباط لنا جميعاً: «يا حيوان أنت وياه.. شو جابكن بهالوقت.. أبتعرفو أنو الدنيي قايمة قاعدة مشان أحداث 11 أيلول؟. هلق شو بدو يقنعني إنكن مو عملاء لدولة معادية للوطن؟». قلنا له جئنا إلى المطاعم.. فقاطعنا: «شو جابكن عالمطاعم هون.. هاد مكان للعرصات..أنتو عرصات شي؟»..والكلام للضابط طبعاً.

بعد تحقيقات طويلة أوصلتنا إلى مكتب عميد في القصر الجمهوري، نقلنا ضابط طيب القلب من دير الزور بسيارته إلى مقر الحرس، وفي الطريق سألته: يا سيدي شو صار؟. لم يجب عن السؤال، لكنه قال للسائق: شغّل عتابا يا ابني.. ما عندك عتابا (من أغاني المنطقة الشرقية)؟. واستمع وهو يحرك يده بتثاقل مع صوت المغني الثقيل. عرفت حينها أنه سيتم الافراج عنّا.

لاحقاً، قال لي الضابط إن دفاعنا كان ممتازاً.. «برافو». واستفسرتُ أي جزء بالضبط، فقال: «كل اللي حققوا معكن اقتنعوا تماماً إنكن مهابيل».